فليس عنده ما يفقده تجاه الاحتلال، بعد ان سلبه هذا الاحتلال أرضه، ووطنه، وعمله، ومستقبله.

غير ان هذا التركيز الذي نسوقه على استمرارية الانتفاضة لا يعني اننا ازاء خاصّية حتميّة لا انتكاس لها. ذلك ان عوامل الانقطاع في مسيرة الانتفاضة موجودة وكامنة، بعضها ذاتي، وبعضها الآخر موضوعي. وقسم منها نحن مصدره، وقسم ثان يأتي من العدو. وما تقدمه خارطة الانتفاضة، في هذا اليوم، تجعل الغلبة لعوامل الديمومة على عوامل الانقطاع، أو الغياب.

ويمكن القول ان الانتفاضة تستطيع بلوغ غايتها عندما يتمّ في سياق استمراريتها انجاز عمليتين:

الاولى: هي شلّ جهاز القمع الاسرائيلي في الارض المحتلة، بحيث يغدو القمع غير مجدٍ، ويغدو استنفاد طاقة الانتفاضة خارج اطار قدرة العدو.

والثانية: هي شرخ القيادة السياسية العسكرية الحاكمة في اسرائيل، وانضاج أزمتها الى الحدّ الذي يصبح فيه تجاوز الازمة مشروطاً بالتسليم بمطالب الانتفاضة.

واذا ما أردنا ان نرصد الخطوط البيانية للمتغيّرات الظاهرة، اليوم، على الساحتين، الفلسطينية والعربية، والساحات الاسرائيلية والاميركية والدولية، فاننا واجدون ان العمليتين اللتين أشرنا اليهما لم تبلغا، بعد، غاياتهما، وان كانت المسيرة نحو تلك الغايات ناشطة وواضحة.

فشـلّ جهاز القمع لا يزال غاية بعيدة، ذلك ان اسرائيل لا تزال تتحمّل تجميد شطر هام من جيشهـا في ساحة الانتفاضة. غير ان صدمة نفسانية أخذت تهزّ بعض قادة الجيش وجنوده من القوات الاحتياطية. وأجهزة الاعلام الاسرائيلية صوّرت ملامح من تلك الصدمة.

وتجدر الاشارة، هنا، الى ان هذه الظاهرة، مع ضرورة أخذها بالاعتبار، لا يجوز أخذها قاعدة، او تعميمها كمُسلّمة. ذلك ان الواقع اليومي الذي تشهده الارض المحتلة يقدّم فيضاً غنياً من الوقائع والأدلّة التي تثبت وحشية الجيش الاسرائيلي ولاانسانيّته.

فاذا انتقلنا، الآن، الى العملية الثانية، وهي شرخ القيادة السياسية العسكرية وانضاج أزمتها، نجد ان أقصى ما بلغته تلك القيادة، على درب التسوية، لا يتجاوز دائرة الحكم الذاتي، وما يزيّن تلك الدائرة من اضافات وتمويهات.

الثورة الفريدة

تكـاد الثورة الفلسطينية تكون فريدة في نوعها بين ثورات التحرّر الوطني في التاريخ المعاصر. وتـأتي فرادتها من خاصّيات اختصت بها دون غيرها من ثورات التحرر الوطني، وفي مقدمها تلك الخاصية التي لازمت الثورة الفلسطينية منذ انطلاقها في مطلع العام ١٩٦٥، وهي ان الثورة، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، نمت في خارج الارض المحتلة، أي انها لم تنمُ وتكبر على الارض ذاتها حيث يوجد العدو. وهكذا كانت الثورة خارج حدود الارض المحتلة، لتكبر في «بيئة فلسطينية ـ عربية»، أي في الرحم القومي، ولتعمل للعودة الى أرضها. وما بين «التهجير» الواقع و«العودة» المنشودة، قطعت الثورة مسيرة عمرها ثلاثة وعشرون عاماً، وهي تناضل ما وسعها النضال، الذي كانت خطوطه البيانية تصعد الى الذروة حيناً، وتنخفض حيناً آخر، مرتبطة ومتأثرة بعوامل فلسطينية وعربية واسرائيلية ودولية.